المحاضرة الرابعة والثلاثون:الاحتفاظ الثقافي.

الاحتفاظ الثقافي

وضحنا أن الانصهار الثقافي يحدث عندما يقع اتصال ثقافي بين جماعتين الأولى (مجتمع صناعي) والآخر المغزو (مجتمع بدائي _ بسيط _ اقل تقدما من الأول). هناك شكل أخر تظهر به نتائج الاتصال الثقافي ألا وهو الاحتفاظ الثقافي إذ تحتفظ كل من المجتمعات أو الجماعات المختلفة ببعضها بجزء جوهري من ثقافتها مع اقتباسها لمركبات ثقافية مختلفة من الخارج. تظهر هذه الحالة بين الجماعات الاثنولوجية المتكافئة نسبياً التي تسمع ظروف احتكاكها ببعضها لكل منها ان تتعلم ما في أساليب حياة الجماعات الأخرى لغرض التعايش والتكيف معها من دون ان تفقد الواحدة منها ذاتيتها الثقافية المميزة لها عن غيرها.

نموذج في ذلك " المجتمع السويسري" يتألف المجتمع بصورة رئيسة من جماعات اثنولوجية مختلفة هي الفرنسية والإيطالية والألمانية. تتصف الحياة المشتركة بين هذه الجماعات بميلها للتعاون في نطاق الوحدة الوطنية على أساس المشاركة في الحياة الاقتصادية والسياسية والإدارية. واستمرت عملية الاقتباس الثقافي بين هذه الجماعات منذ نشوء الدولة السويسرية إلى درجة اصبح فيها السويسريون كافة يجيدون اللغات الوطنية المستخدمة في مجتمعهم فضلا عن لغة جماعاتهم الاثنولوجية خلاصة القول أن لكل جماعة ثقافاتها المميزة لها (الخاصة بها) مع الاقتباس من ثقافة الجماعة الأخرى بهدف

التعاون والتضامن وتحقيق أهداف جماعية ولا تغليب لمصلحة جماعة على أخرى أو ثقافة جماعة على أخرى (حياة مساواتية)

ثالثا _ الانفصال الثقافي

في حالات الاتصال الثقافي يظهر نمط أخر في ميل بعض الجماعات الاثنولوجية في ضعف التعاون – التضامن مع الجماعات التي تسكن معها في المجتمع نفسه. ان هذا الاتجاه الانفصالي غالبا ما يظهر في صورة الرغبة في الانفصال أو المقاطعة، إذ يضعف التعاون الوطني وتنكمش مجالات التبادل الثقافي. وتظهر النزعة الانفصالية في المجتمعات القبلية التي حصلت على الاستقلال. اذ ما يحكم هذه المجتمعات النزعة القرابية التي تسيطر على سلوك الجماعات التي تتكون منها مما يجعل ولاءات أعضائها تنحصر ضمن نطاق حدودها الإقليمية والاجتماعية وتدفعهم إلى الابتعاد عن الجماعات الأخرى في مجتمعهم هذا، وقد تأخذ الانقسامات الدينية والطائفية المتطرفة على تغذية عوامل الانفصال كما جرى بين الجماعات الهندوسية والإسلامية في الهند، وهناك القبائل النيجيرية التي تضم الواحدة منها ملايين الأفراد، تفتقر إلى التلاحم الوطني بسبب بقاء انقساماتها القائمة على القرابة ووحدة الدم في القبيلة الواحدة.

ولا تقتصر نزعات الانفصال الثقافي في المجتمعات القبلية، بل تظهر أيضاً في المجتمعات الصناعية المتقدمة. نموذج في ذلك " كندا " المتكونة من الفرنسيين والإنكليزيين. إذ أن الأقلية الفرنسية تبدي تأييدا واضحا لفكرة الانفصال عن الأكثرية الإنكليزية المسيطرة وتتسم علاقات الجماعتين بالتكتل الإقليمي، إذ تتركز أكثرية الفرنسيين في الجنوب والجنوب الشرقي من كندا بينما

يتركز الإنكليز في الأقاليم الوسطى والغربية. وتتصف علاقاتهم بالتنافر النفسي، وهكذا فإن شعور الجماعتين بفروقهما الثقافية ظل قويا رغم مرور زمن طويل على عيشهما في مجتمع سياسي موحد.

ومن ظواهر الانفصال بين الجماعتين رفض الجماعة استخدام لغة الجماعة الأخرى وبعد المسافة الاجتماعية وضعف التفاعل الاجتماعي بينهما، لكن هذه الظواهر تخف حدتها في المدن الكبيرة وتشتد في المدن الريفية. ويبدو أن من معرقلات عملية التلاحم الوطني بين الجماعتين الفوارق الاقتصادية لصالح الكنديين الإنكليز والاختلافات اللغوية والمذهبية

رابعا – الصراع والثورات

لقد نشأ عن احتكاك الغربيين التوسعيين بالجماعات الإنسانية البسيطة والمتخلفة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، حركات أخذت طابعا روحيا غيبيا، فقد أشارت البحوث الانثروبولوجية إلى وجودها بين الهنود الحمر وبين جماعات بدائية في غينيا وبين قبائل أفريقية، يلاحظ أن الصفة المشتركة بين هذه الحركات تتبلور في شعور الجماعات المغزوة بعد احتكاكهم بالغزاة، شعورهم بتدني مكانتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بالمقارنة مع الغزاة. إذ أن الغزاة وبالقوة العسكرية فرضوا عليهم نفوذهم السياسي والاقتصادي، إذ أن استغلال الزراعة ومختلف الموارد الطبيعية لصالحهم، وما ينتج عن ذلك شعور بالكراهية والامتعاض في نفوس الجماعات المغزوة بوصفها صاحبة الحق والشرعية في النفوذ السياسي والاجتماعي لكنها وبفعل تخلفها التكنلوجي – الحربي أو بدائية الإمكانيات الدفاعية مقارنة مع تكنلوجية الحرب عند الغزاة، فأنها لا تتمكن من الانعتاق والخلاص الحقيقي بدحر الغازي وتحرير مجتمعهم.

لذلك وللتنفيس عن تلك المشاعر الصاخبة بالكره والامتعاض تلجأ تلك الجماعات إلى الحركات الروحية الغيبية ويتبنى هذه الحركات زعيم شخص ما، الذي ينشر نبوأته بين الجماعات بقرب انتهاء المحنة والتحرر وعودة الأجداد الموتى ورجوع الأراضي المسلوبة إلى أهلها الأصليين وتستمر هذه المقاومة الروحية الغيبية مع إجراء طقوس خاصة بها، نموذج في ذلك (رقصة الشبح عند الهنود الحمر) لقد اطلق هذا الاسم لاقتران طقوسها الأساسية ببعض الحركات العنيفة المعبرة عما يحتمل في نفوس الهنود من الشعور بالخيبة والألم والرغبة في الخلاص.